❁من مظاهر الإعراب في لهجات القرآن الكريم

أ. د. سهام مادن
رئيسة اللجنة العلمية لقسم
اللغة والحضارة العربيّة
بكلية العلوم الإسلامية

مقدمة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الزخرف: ٣ إنَّا إنّ أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ.

إنّ القرآن الكريم كلام الربّ الحكيم أنزله رحمة وهدى للعالمين، فهو معجزة ومن أهمّ أنواع إعجازه الإعجاز اللغوي، ليست العربيّة بدعا من اللغات في نشأتها وتطّورها، فقد كان العرب قبائل متعدّدة موّزعة في شتى أنحاء الجزيرة العربيّة الواسعة التي تشتمل على بيئات كثيرة يلتقي البعض فيها ويفترق البعض الآخر عن بعض بعوامل جغرافية وثقافية وحضارية، ممّا أدّى إلى تعدّد لهجاتهم، ولما نزل القرآن الكريم عمل على توحيد هذه الأمّة العربيّة وعلى توحيد لسانها.

إنّ دراسة اللهجات العربيّة القديمة يساعدنا في فهم تطّور اللغة العربية، كما يعيننا في فهم لغة القرآن الكريم، ويعدّ الإعراب أساس اللغة العربيّة، ولهذا أردنا أن نبيّن مظاهر الإعراب في اللهجات العربيّة القديمة هل هي نفسها مظاهر اللغة العربيّة الفصحى في زماننا هل تخضع لنظام خاص؟ ولهذا فسنتناول العناصر الآتية:

المنارة للاستشارات
ww

تحديد بعض المفاهيم:

1 – اللغة، اللهجة.

2– أسباب نشأة اللهجات.

3– مظاهر الإعراب في اللهجات.

اللغة واللهجة

1– اللـغـة:

أ– **تـاريـخها:**

الإنسان كائن اجتماعي يحتاج إلى وسيلة للتواصل، واللغة التي عرّفها فندريس في قوله:«أصبح تكرار القول بأن الإنسان كائن اجتماعي أمرا مبتذلا، ولعل من أدل السمات على الطبيعة الاجتماعية في الإنسان تلك الغريزة التي تدفع على الفور الأفراد المقيمين معا إلى جعل الخصائص التي تجمعهم مشاعة بينهم ليتميزوا بها عن أولئك الذين لا توجد لهم هذه الخصائص بنفس الدرجة» (1)

لم يظهر مصطلح " **اللغة**" إلا بعد انتهاء القرن الثاني الهجري، وكان يدل في القرن الأول على المادة اللغوية أي ما جمعه الرواة من البادية عن العرب الفصحاء بعد فشو اللحن، ولم يطلق الرواة الذين اشتغلوا بجمع المعطيات اللغوية مصطلح " **لغوي**" إلا في القرن الرابع الهجري وقد قال في هذا الصدد الدكتور عبد الغفار حامد هلال: « ولم يطلق على الرواة وهم القائمون بفنون اللغة لفظ (ا **للغوي**) إلا في القرن الرابع بعد أن استفاض التصنيف في اللغة و تميزت العلوم العربية واستعجمت الدولة فصار صاحب اللغة يعرف بها ...وخلف ذلك اللقب لقب الراوية، وممن عرفوا به في القرن الرابع أبو الطيب اللغوي وابن دريد والأزهري وغيرهم» (2)

المنارة للاستشارات

ويرى الدكتور عبد الغفار أن ورود كلمة " لغة " في الأدب العربي لم يتمّ قبل القرن الثاني الهجري، فقد جاءت أول مرة في شعر صفي الدين الحلي [3].

وهو بقدر لغات المرء يكثر نفعه ❁ فتلك له عند الملمات أعوان

له عند الملمات أعوان ❁ فهافت على حفظ اللغات وفهمها

فكل لسان في الحقيقة إنسان [4]

ويستعمل القرآن الكريم مصطلح "**اللسان**" قاصدا بذلك اللغة في قوله تعالى :« و هذا كتاب مُصَدِّق لسانًا عربيا لينذر الذين ظلموا وبُشرى للمحسنين. » الأحقاف 12، وقوله تعالى أيضا: « نزل به الرّوح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين. »الشعراء **193-195**.

وقد ذكر الكاتب عبد الغفار أن كلمة لسان بمعنى اللغة قد وردت في القرآن ثمان مرات.[5]

ب- اشتقاقها و تصريفها:

يقول ابن جني: « أمّا حدّها (**فإنها أصوات**) يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، هذا حدّها.

وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فُعْلة من لغوت، أي تكلمت، وأصلها لُغوة ككرة، وقُلة، وثُبَة، كلها لاماتها واوات، لقولهم. كروت بالكرة ، وقلوت بالقلة، و لأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب. وقد دللت على ذلك وغيره من نحوه في كتابي في «سرّ الصناعة». وقالوا فيها: لُغات ولُغُون، كَكُراتٍ وكُرون، وقيل منها لغي يلغَى إذا هَذَى؛ [ومصدره اللَّغا] ...، وكذلك اللَّغْو؛ قال الله سبحانه وتعالى : « وإذا مرّوا باللغو مرّوا كِراما » الفرقان **72** أي بالباطل ، و في الحديث :« من قال في الجمعة: صه فقد لغا » أي تكلم .» [6]

المنارة للاستشارات

ومن خلال نص ابن جني نفهم أنه يرى اشتقاق لغة من لغا يلغوا بمعنى تكلم أو من لِغى يلغَى بمعنى هذى.

و قد ذُكر مصطلح اللّغو في القرآن الكريم، نذكر منها ما يلي :

قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ الواقعة: ٢٥

قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾ النبأ: ٣٥

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ القصص: ٥٥

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ المؤمنون: ٣

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ الفرقان: ٧٢

يرى الدكتور عبد الغفار : « وبناء على ذلك لا يقبل القول الذي ذهب إليه بعض المحدثين من أن كلمة لغة دخيلة على العربية، و أنها معربة من كلمة LOGO الإغريقية التي تعني كلمة أو فكرة ، ويعزز ذلك- عندهم- التشابه بين الكلمتين، و الزعم بأن الكلمة لم ترد في آداب العرب المتقدمين ولا في القرآن الكريم. فقد ثبت لذى عينين وقوعها في القرآن .....كما وقعت في الحديث .....كما ورد في المعاجم اللغوية (لغا يلغو) إذا تحدث ولغِى يلغَى إذا لهج مع تصرفات أخر لمادة (لغو) و نصوص كثيرة موثوق بها، و ذلك كله يثبت عربية كلمة (لغة) و إن شاركت غيرها من اللغات الأخرى للتشابه في الأصل الأول للغة الإنسان. » (7)

نعود مرة ثانية لتوضيح تعريف ابن جني في قوله: "حدّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . (8)

يقصد ابن جني من هذا التعريف أن اللغة تقتصر على الأصوات الإنسانية المعبرة عن أغراض، و يخرج من هذه الدائرة الأصوات الإنسانية غير المعبرة كغطيط النائم؛ وهناك أيضا لغة غير لسانية أي لا يتلفظها اللسان و تتمثل في العقد والنصب (9) والإشارة بالرأس أو

المنارة للاستشارات

غيرها من أعضاء الجسم، و الإشارات التي تستعملها السفن، و الإشارات التي تستخدم في الجيش، و لغة الصم و البكم ، وما يظهر على الإنسان من انفعالات نفسية التي تظهر في حالات المرض والغضب والفرح والحزن نحو ذلك؛ وكذلك الأصوات الصادرة عن كل ماله صوت أو صلة بحدوثه ولو كان جمادا كالمدافع التي تعبر عن معنى معين.

إذن حدّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم أي تتمثل فيما يصدر عن الإنسان من أصوات معبرة.

2- **اللـهجة:**

أ- اشتقاقها:

ورد اشتقاقها بوجهين:

الوجه الأول: أنها مأخوذة من لهج الفصيل يلهج أمه: إذا تناول ضلع أمه يمتصه، ولَهَج الفصيل بأمه يلهج إذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج.

الوجه الثاني: أنها مشتقة من لهج بالأمر لهجا و لَهْوَجَ و أَلْهَجَ يعني أُولع به و اعتاده أو أُغرِي به فثابر عليه، و اللَّهَج بالشيئ: الوُلُوع ب» (10)

نلاحظ أن كلا من الوجهين مناسب لوجود العلاقة بين أصل الاشتقاق وطريقة النطق التي يتبعها الإنسان، فاللغة يتلقاها الإنسان عن ذويه ومخالطيه كالفصيل الذي يتناول اللبن من ضرع أمه فيمتصه؛ كما أنه حين يتعلم اللغة يتعلق بها كمن يتعلق بشيء معين و يُولع به. وهذا التعريف يتطابق و تعريف ابن منظور:

« **لَهِجَ بالأمر لَهَجًا، و لَهْوَجَ، و أَلْهَجَ، كلاهما : أُولِعَ به و اعتَادَهُ، وأَلْهَجْتُهُ به . ويقال : فلان مُلْهَج بهذا الأمر أي مُولَعُ به.....**» (11)

ب- معنـاهـا:

يعرّفها الدكتور إبراهيم أنيس قائلا: « اللهجة في الاصطلاح الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة.

المنارة للاستشارات

وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، و لكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض» (12)

فاللهجة تأدية من التأديات اللغوية أو عادة أو طريقة أو عادة كلامية غالبا ما تكون صوتية، و من أمثلة ذلك لهجات العرب القديمة كعنعنة قيس وتميم وهي قلب الهمزة المبدوء بها عينا، فيقولون في : أنك عنك، كما قال الدكتور عبد الغفار: «... ومن ذلك في لهجات العرب القديمة: العنعنة وهي قلب الهمزة المبدوء بها عينا، وهذه الصفة معروفة عند قيس و تميم يقولون في أنك عنك، و في أذن عذن على حين أن بقية العرب ينطقون الهمزة دون تغيير في أوائل الكلمات.» (13)

قلنا أن الاختلاف اللهجي يكون على مستوى الأصوات وضربنا مثالا بعنعنة قيس و تميم، و يكون كذلك على مستوى بنية الكلمات كما قال الدكتور عبد الغفار:

« وقد تكون الطريقة متعلقة ببنية الكلمات ونسجها، فاسم المفعول إذا صيغ من الفعل الثلاثي الأجوف فإن عينه تعمل عند الحجازيين، سواء أكان واويا أو يائيا مثل: مقول ومدين. ولكن التميميين يعلون الواوي ويتممون اليائي فيقولون: مبيوع و مديون، و على طريقة بني تميم تجرى اللهجات العامية في مصر وفي بعض جهات اليمن و نجد.» (14)

وفيما يتعلق بمصطلح "**اللهجة**" فقد كان القدماء من علماء العربية يعبرون كما نسميه الآن باللهجة بكلمة "اللغة " حيناً، و"باللحن" حينا آخر، و يظهر هذا جليا في المعاجم العربية القديمة ، فيقولون مثلا: الصقر بالصاد من الطيور الجارحة، وبالزاي لغة (بضم اللام و كسرها) .(15)

وكثيرا ما وجدنا سيبويه في عرضه لمسألة نحوية يقول هذه لغة تميم مثلا أو لغة خثعم، و في هذا قال: "وذو صَباح بمنزلة ذات مرّة. تقول: سير عليه ذا صباح، أخبرنا بذلك

المنارة للاستشارات

يُونس عن العرب، إلى أنه جاء في لغةٍ لخَثْعَم مفارقا لذات مرّة و ذاتِ ليلة. و أمّا الجيّدة العربيّة فأن تكون بمنزلتها."[16]

2- أسباب نشأة اللهجات:

اللغة كائن حي اجتماعي يتغذّى من مختلف العوامل المحيطة به؛ واللغة تتطور وتنمو فهي تشبه الإنسان في نموه ومروره بمراحل مختلفة؛ ومما لا شك فيه أن اللغة منذ زمان بعيد تتفرع إلى لهجات، وهذا الذي يجرّنا إلى البحث في أسباب نشأة اللهجات.

لقد أجمع المختصون أن الأسباب متعددة يمكننا توضيحها في النقاط التالية:

1-الأسباب الجغرافية :

بدأنا بالأسباب الجغرافية من حيث أهميتها؛ إذ تُعدّ عاملا أساسيّا و جوهريا في نشأة اللهجات، ونقصد بالأسباب الجغرافية اختلاف البيئة.

فالبيئة الجغرافية تختلف؛ فنجد الجبال والسهول و الوديان، كما نجد الأراضي الزراعية الخصبة والقاحلة، واختلاف البيئة الجغرافية يؤدي إلى اختلاف اللغة وتفرّعها إلى لهجات، فمثلا توجد جماعة في مكان معين وأخرى في مكان آخر، مع مرور الزمن يؤدي ذلك إلى تشعب لغة الجماعة الأولى إلى لهجات، وتشعب لغة الجماعة الثانية إلى لهجات كما قال الدكتور إبراهيم أنيس: « و لو أمكن أن تتحد تلك الظروف لاتخذ الكلام طريقا واحدا في تطوره، وشكلا واحدا في تغيره، ولظلت البيئات المنعزلة ذات لهجة واحدة لا تتشعب إلى صفات متباينة، ولكن الواقع المشاهد أن البيئات متى انعزلت اتخذت أشكالا متغايرة في تطور لهجاتها .» [17]

مما لا شك فيه أن جزيرة العرب وحدة جغرافية من حيث المناخ، وأنها من ناحية أخرى لا تفصلها موانع جغرافية كالجبال الشاهقة والأنهار الكبيرة التي تمنع الهجرات، وهذا الأمر ينطبق على كل الجزيرة العربية، وقد قال في هذا الصدد الدكتور عبده الراجحي: «فإذا كان أصحاب اللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة، تختلف الطبيعة فيها من مكان

المنارة للاستشارات

لمكان كأن توجد جبال أو وديان تفصل بقعة عن أخرى بحيث ينشأ عن ذلك انعزال مجموعة من الناس عن مجموعة، فإن ذلك يؤدي مع الزمن إلى وجود لهجة تختلف عن لهجة ثانية تنتمي إلى نفس اللغة. والذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين في بيئة صحراوية بادية. » (18)

فالأرض التي يعيش عليها البشر مختلفة، ومتى اختلفت العوامل الجغرافية اختلفت اللغة، باعتبار أن اللغة كائن حي ينمو و يتغذى من مختلف العوامل المحيطة به كما قال الدكتور عبد الغفار حامد هلال:

« .....ومتى اختلفت البيئة الجغرافية فإن ذلك يؤدي إلى اختلاف اللغة، فإذا انتشرت جماعة لغوية تعيش في مكان معين على أرض واسعة تختلف طبيعتها فإن ذلك يؤدي- مع تطاول الزمن- إلى انشعاب لغتها الواحدة إلى لهجات. وإذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسميا وخلقيا و نفسيا، كما هو الواقع فإنها كذلك تؤثر على أعضاء النطق و طريقة الكلام .» (19)

وخلاصة القول أن اختلاف البيئة الجغرافية يؤدي إلى نشأة اللهجات، فاللغة كالشجرة تتدلى فروعها إلى أسفل فتلامس التربة وترسل في الأرض جذورا تصبح أشجارا فتيّة فيما بعد.(20)

2- الأسباب الاجتماعية:

إن المجتمع الواحد يتفرع إلى طبقات كما قال **الدكتور عبد الغفار حامد هلال**:

«والمجتمع الواحد قد يوجد فيه الطبقات الأرستقراطية والدنيا أو الطبقات الصناعية والزراعية والتجارية و غيرها من أرباب المهن المختلفة، وبقدر ما يوجد من تلك المظاهر تتفرع لغات المجتمعات و تختلف.» (21)

المنارة للاستشارات

فالعوامل الاجتماعية لها دور أساسيّ في نشأة اللهجات، لأن المجتمع طبقات: طبقة غنية ومتوسطة وفقيرة؛ فالطبقة الغنية تتنمق في كلامها وتنتقي ألفاظها لأنها تمثل أرقى الطبقات وبالتالي تحاول أن تبدو في أحسن الصور على جميع المستويات على خلاف الطبقتين المتوسطة والفقيرة اللتين تمتازان بالعفوية والبساطة لبساطة حياتهما، ولقد قال الدكتور عبد الواحد وافي: « تتأثر اللغة في تطورها وارتقائها بعوامل كثيرة يرجع أهمها إلى أربع طوائف: ...(وثالثتها) عوامل اجتماعية ونفسية وجغرافية، كحضارة الأمة ونظمها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها، وثقافتها واتجاهاتها الفكرية ومناحي وجدانها ونزوعها، وبيئتها الجغرافية... وما إلى ذلك.»[22]

وقال في هذا الصدد الدكتور عبده الراجحي: « إن المجتمع الإنساني بطبقاته المختلفة يؤثر في وجود اللهجات، فالطبقة الأرستقراطية مثلا تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الطبقة الدنيا من المجتمع، ويلتحق بذلك أيضا ما نلحظه من اختلافات لهجية بين "الطبقات المهنية، إذ تتهيأ لهجات تجارية و أخرى صناعية وثالثة زراعية و هكذا.» [23]

فالمجتمع الإنساني بطبقاته المختلفة يؤدي إلى الاختلاف اللهجي، باعتبار أن كل طبقة تتخذ لهجة تتماشى معها؛ وعليه فانتشار اللغة الواحدة في بيئات منعزلة يكوّن لهجات لا تلبث أن تستقل وتتميز بخصائص؛ وآخر ما نستشهد به الأستاذ مصطفى صادق الرافعي الذي قال: « الأصل في تشعُّب اللغات تشعُّب الجماعات؛ فإن اللغة كما أسلفنا بنت الاجتماع...» [24]

3- الاحتكاك و العلاقات:

إن جزيرة العرب في الشمال لم تكن موطنا للقبائل الشمالية فقط، فإن طبيعة الأرض تسمح بالهجرة المستمرة، والتداخل بين لهجات القبائل الصاعدة شمالا أو النازلة جنوبا، والمجاورة والاحتكاك كانتا عاملا آخر مهما في نقل خصائص لهجات جنوبية إلى قبائل شمالية.

المنارة للاستشارات

والأدلة كثيرة تبرهنها اختلاف القراءات التي قال عنها الدكتور عبد العال سالم مكرم أساسها اللهجات أو اللغات التي نزل بها القرآن الكريم، و من أمثلة ذلك:

أ- « **قراءات بلغة هذيل** : "**فظلوا فيه يعرجون**.» الحجر **14** قال أبو حيان: «قرأ الأعمش، وأبو حيوة:« يعرجون» بكسر الراء، وهي لغة هذيل.» (25)

ب- « **قراءات وردت بلغة تميم** : « الحمد لله »الفاتحة **1** بكسر الدال بدلا من ضمها، بشهادة النحوي المصري النحاس المتوفى سنة 338هـ كانت صيغة « الحمد لله على هذه النحو خاصة بلهجة تميم. »(26). إن احتكاك اللغات بعضها ببعض أدّى فيما بعد إلى تداخل اللهجات فيما بينها وهذا الذي جسّدته القراءات القرآنية.

لقد أثبتت الدراسات الاجتماعية أن الإنسان اجتماعي بطبعه فلا يمكنه أن يعيش منعزلا عن أخيه الإنسان، و لهذا تجده لسبب أو لآخر يتصل بأخيه الإنسان سواء للرزق أو لسبب علمي أو ديني أو سياسي.

وقد قال الدكتور عبد الغفار حامد هلال: « الإنسان مدني بطبع - كما يقول علماء الاجتماع - فهو في حاجة لمساعدة أخيه الإنسان، ولذلك فقد يتصل بنو البشر لتبادل المنافع، كما أن الإنسان قد يحتاج إلى الهجرة من وطنه الأصلي إلى مكان آخر بحثا عن القوت أو لأسباب أخرى دينية أو استعمارية. » (27)

ولم تكتف مكة بعقد علاقات تجارية مع اليمن والحبشة والهند وفارس، بل عقدت علاقات تجارية مع الشام ومصر، لكن علاقاتها بمصر كانت قليلة بالمقارنة مع غيرها من الأمم، وقد قال في هذا الشأن الأستاذ محمود أحمد نحلة: «ولكن ما نعرفه عن علاقة المكيين بمصر قبل الإسلام قليلا، ومن ذلك ما قيل من تقديس المصريين لبلاد الحجاز، وتسميتهم لها «البلاد المقدسة» وما يروونه من أن نفرا من بني مالك أجمعوا على الوفود إلى المقوقس،

المنارة للاستشارات

وأهدوا إليه هدايا، كما ذكروا أن عبد الله بن جُدْعَان ورد مصر ببضاعة فباعها، ثم رجع إلى عكاظ.» (28)

ويبدو جليّا أنّ اتصال العرب بأمم أخرى قد أدّى إلى نشأة اللهجات، بدليل وجود ألفاظ فارسية وحبشية و يمنية وغيرها، نذكر منها الكلمات الآتية: الصرح، الخيمة، الصومعة، المشكاة، المائدة، و هي ألفاظ حبشية كما قال الكاتب : « دخلت إلى العربية ألفاظ حبشية بعضها يتصل بالمسكن وأدواته مثل: **الصرح والخيمة والصومعة، ومشكاة، ومائدة، وصواع (نوع من الآنية)...**»(29)

4- الأسباب الفردية:

لقد أثبتت الدراسات أن اللغة وإن كانت واحدة لا يتكلمها شخصان بنفس الطريقة؛ واختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى نشأة اللهجات؛ وقد قال فندريس عن اللغة: «....كانت واحدة فهي متعددة بتعدد الأفراد الذين يتكلمونها، ومن المسلم به أنه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفترق» (30)

وقال الدكتور عبده الراجحي:« واختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى تطوير اللهجة أو إلى نشأة لهجات أخرى ....» (31)

وقد ضرب الكاتب عبده الراجحي مثالا بيّن من خلاله أن أخطاء الأطفال في المستقبل تصير عادات لهجية، وذلك في قوله « ويمكن أن يلتحق بهذا أيضا ما يسمى « بخطأ الأطفال» و«**القياس الخاطئ**»، فنحن نلاحظ مثلا أن بعض الأطفال يقول « **أحمرة وأخضرة** » في مؤنث «أحمر و أخضر» ، فإذا عاش هؤلاء الأطفال في معزل عمن يقوم لهم ألسنتهم كأن يكون آباؤهم مشغولين في الغزو أو في طلب الرزق، أصبحت هذه الأخطاء بعد فترة من الزمن عادات لهجية... » (32)

فما لم يصحّح في وقته، صار مع مرور الزمن لهجة من اللهجات، وأكدّت دراسات عديدة ذلك كما قال الدكتور عبده الراجحي: « ومن الأسباب المعروفة في تطور اللغات ما

المنارة للاستشارات

يقرره اللغويون من نشأة «**أخطاء**» لغوية تظل دون تصحيح لظروف معينة، إلى أن تصبح مستوى لغويا مقررا بعد ذلك... »[33]

فالفرد الواحد يمكن أن يؤثر في جماعة، وبقاء اللغة دون تأثير أمر مستحيل أثبتته الدراسات المختلفة؛ فهذا فندريس يقول: « وجود اللغة في معزل عن كل تأثير خارجي يعدّ أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق في أية لغة»[34]

بل وإن الإنسان نفسه لا يمكنه أن يلتزم لهجة واحدة كما بيّنته الدراسات اللغوية الحديثة أيضا، كما قال Christian Baylan:« لكلّ متكلّم تأدية خاصة في الخطاب ...»[35]

وخلاصة القول أن اللغة تتفرع لا محالة إلى لهجات، كما أكدّته كلّ الدراسات اللغوية القديمة والحديثة؛ وحتى في الدراسات الاجتماعية.

3- مظاهر الإعراب في اللهجات:

1 إسقاط حركة الإعراب:

فالأخفش يفسّر إسكان الهمزة في (بارئكم) بأنّه تخفيف ق أشار الأخفش إلى ما يُعدُ ملمحًا لهجيًا يتمثّل في إسقاط حركات الإعراب من آخر الاسم أو الفعل، وذلك عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَأْتَخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِيِٕكُمْ ﴾ **البقرة: ٥٤**، فقال: "قد قرأ بعضهم هذه الهمزة بالتخفيف فجعلها بين الهمزة وبين الباء، وقد زعم قوم أنها تجزم ولا أرى ذلك إلاّ غلطًا منهم، سمعوا التخفيف فظنوا أنّه مجزوم والتخفيف لا يُفهم إلا بمشاهدة ولا يُعرف في الكتاب، ولا يجوز الإسكان، إلا أن يكون أسكن وجعلها نحو (عَلْمَ) و(قَدْ ضُرْبَ) و(قَدْ سَمْعَ) ونحو ذلك"[36] .

د ظنّه قوم جزما (**أي إسكانًا**) والتخفيف لا يظهر إلا بالمشافهة، ثم استدرك الأخفش على نفسه، فرأى أن المسموع في قراءة (بارئكم) قد يكون إسكانا، ولكنّه

المنارة للاستشارات

الإسكان الذي يكون من أجل التخلّص من توالي الحركات، ولا سيّما إن كان في هذه الحركات المتوالية انتقال من حركة إلى أخرى ليست من نوعها، ولذلك مثّل لهذا النوع من الإسكان بالكلمات (عَلْمَ، وضُرْبَ، وسَمْعَ) [37]، والأصل: (عِلم وضُرِب وسَمِع)

ونتبين من التعليلين اللذين أشرنا إليهما عند الأخفش في تفسير إسكان الهمزة في كلمة (بارئكم)، أنّه يرى أنّ هذا الإسكان ليس دليلا على إسقاط الحركة الإعرابية، وإنّما هو ناتج عن تخفيف الهمزة لتنطق بين الهمزة والياء، فيظن السامع أنّه إسكان، أو أنّه حقّا ولكنّه من أجل التخلّص من توالي الحركات.

ثم يستشهد الأخفش على الإسكان لتوالي الحركات، بشواهد عدّها بعض الباحثين[38] شواهد على إسقاط حركة الإعراب في اللهجات العربية القديمة، يقول الأخفش:" سمعت من العرب من يقول: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ ﴾ هود: ٦٩ **69-77** ، جزم اللام وذلك لكثرة الحركة قال الشاعر[39]:

وأنت لو باكرت مشمولة صهباء مثل الفرس الأشقر

رحت وفي رجليك ما فيهما وقد بدا هنك من المئزر

وقال امرؤ القيس[40]

فاليوم أشرب غير مُستحقبٍ إثمًا من الله ولا واغِلِ

لقد أشار الأخفش إلى هذه الأمثلة على إسكان الأواخر، ولكنّه فسّرها بما أشرنا إليه من التخفيف أو التخلص من توالي التحركات، ولذلك فإنّه لم يعد الإسكان في هذه الأمثلة لغة، ولم ينسبه إلى قبيلة معيّنة وإن كان هذا الملمح اللهجي قد نُسب إلى تميم، فقد قال السيوطي:"اختلف في جواز حذف الحركة الظاهرة من الأسماء والأفعال الصحيحة على أقول أحدها: الجواز مطلقا، وعليه ابن مالك، وقال إنّ أبا عمرو وحكاه من لغة تميم[41]

المنارة للاستشارات

ونقف هنا عند تحليل الشواهد الكثيرة [42] من القراءات القرآنية والشعر العربي على إسكان أواخر الأسماء أو الأفعال ثم ننتقل إلى نسبة هذه الظاهرة.

فأما تحليل الشواهد فإنّ فيه وجهين، الأول : تثبت فيه هذه الشواهد تحلّل لهجة عربية قديمة، أو عدد من اللهجات من الحركات الإعرابية في بعض الأحيان، ثم عدّ نهاد الموسى هذه الظاهرة بداية للتخلص من الإعراب في اللهجات العربية القديمة، وهي الحال التي أصبحت عليها اللهجات في العصر الحديث [43] وعدّها إبراهيم أنيس شاهدا على خلّو اللهجات القديمة من الإعراب[44]

وكان ممّن ذهب إلى نفي الإعراب عن بعض العرب رمضان عبد التواب الذي قال:" حتى ذلك الإعراب، الذي هو أهم مميزات اللغة الفصحى، لم تكن له العرب تقدر عليه" [59] ثم استدل عبد التواب بنصّ اتّخذه دليلا على إسقاط حركات الإعراب عن بعض العرب، وهذا النص هو قال أبو بن العيناء: ما رأيت مثل الأصمعي قط، أنشد بيتا من الشعر، فاختلس الإعراب، ثم قال: سمعت أبا عمرو ابن العلاء يقول: كلام العرب الدرج، وحدثني عبد الله بن سوّار، أنّ أباه قال: العرب تجتاز بالإعراب اجتيازا، وحدثني عيسى بن عمر، أن ابن أبي إسحاق قال: العرب ترفرف على الإعراب، ولا تتفيهق فيه، وسمعت يونس يقول: العرب تُشام الإعراب ولا تُحقّقه، وسمعتُ الخشخاش بن الحُباب يقول: العرب تقع بالإعراب، وكأنها لم تُرِد، وسمعت أبا الخطاب يقول: إعراب العرب الخطف والحذف، قال: فتعجب كل من حضر منه[46].

وإذا ما رجعنا إلى القدماء للتحقّق من أنّ العرب لم يكونوا يتقيدون بالعلامات الإعرابية، أو أنّهم لا يتكلّمون الإعراب ولا يصطنعونه، وإنّما يأتي في كلامهم سليقة وجدنا أنّ ما ذكره سيبويه يؤكد الرأي الثاني، فهو يقول: "وأما الذين لا يُشبعون فيختلسون اختلاسا، وذلك قولك يضربها، ومن مأمنك، يُسرعون اللفظ، ومن ثمّ قال أبو عمرو: (إِلَىٰ بَارِئِكُمْ)

المنارة للاستشارات

البقرة54 ، ويدلك على أنها متحركة قولهم: من مأمنك، فيبيّنون النون، فلو كانت ساكنة لم تبيّن النون"[47]

ويقول ابن جني مؤكدا ذلك: "كأنّك لم ترهم وقد ضايقوا أنفسهم، وخففوا عن ألسنتهم، بأن اختلسوا الحركات اختلاسا، وأخفوها فلم يمكنوها في أماكن كثيرة ولم يُشبعوها، ألا ترى إلى قراءة أبي عمرو :﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ يوسف: ١١ ، مختلسا لا محقّقا، وكذلك قوله ﷻ ﴿ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ القيامة: ٤٠ ، مخفى لا مستوفى، وكذلك قوله ﷻ:﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ﴾ البقرة: ٥٤ ، مختلسا غير ممكن كسر الهمزة، حتى دعا ذلك من لطف عليه عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادّعى أنّ أبا عمرو كان يُسكّن الهمزة"[48]

وأما نسبة إسقاط الحركات الإعرابية إلى بني تميم كما جاء عند السيوطي[49]

في ما نقله عن ابن مالك عن أبي عمرو، فإنّ هذه النسبة قد لا تثبت أمام وجود كثير من الكلمات التي"ترد في العربية المشتركة بإعراب، وترد في لهجة تميم بإعراب آخر، ولو كانت تميم تُسقط الإعراب، لجاءت هذه الكلمات ساكنة"[50]

ويبدو أنّ أبا عمرو لم يخطئ في ما حكاه عن لغة تميم من حذف الحركة، ولكنّه ليس الحذف الذي يعني إسقاط حركة الإعراب، وإنما هو الاختلاس وعدم التكلّف والتصنّع في الإعراب، وهو ما يُفهم من نصّ أبي العيناء الذي تقدّم، ومن النصّين اللذين نقلناهما عن سيبويه وابن جنّي.

ومما يؤكد أنّ تميم لم تكن تُسكّن أواخر الكلمات وإنّما كانت تُعرب من غير تكلّف ولا تصنّع، وتختلس اختلاسا أنها قبيلة بدوية، وقد عُرف عن البدو "قلة عنايتهم بالنطق، وسرعتهم في الأداء...فليس بين البدو طبقات اجتماعية تقاس بمقاييس الحضر من رغبة في تجويد النطق وتخيّر الألفاظ، فلا يكادون يتكلّمون إلا بقدر"[51]

المنارة للاستشارات

2- الصرف وعدم الصرف:

ذكرت كتب إعراب القرآن الكريم ومعانيه ألفاظًا فيها لغتان من حيث الصرف والمنع من الصرف، فبعض العرب يصرف هذه الألفاظ، ويمنعها الآخرون من الصرف، وهذه الألفاظ هي: (عرفات، وهند، ومصر، وعاد، وحنين).

فأما (**عرفات**) فقد ذكر الأخفش عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ البقرة: ١٩٨ فقال:" ومن العرب من لا يصرف إذا سمّى به، ويُشبّه التاء بهاء التأنيث نحو: (حمدة)، وذلك قبيح ضعيف، قال الشاعر[52]:

تنوّرتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظرٌ عال

ومنهم من لا ينوّن (**أذرعات**)، ولا (**عانات**)، وهو مكان"[53].

والأخفش يبين في نصّه هذا أنّ من منعها من العرب قد شبّه التاء فيها بتاء التأنيث في نحو: (**حمدة**)، لكنّه قال إنّ ذلك قبيح ضعيف، وهو في ذلك ينطلق من نظرة النحاة المعيارية إلى قواعد اللغة، فالباحث يرجو، وهو يجد الأخفش ينسب المنع من الصرف إلى بعض العرب، أن يسمى الأخفش هؤلاء العرب الذين يمنعون (عرفات) من الصرف ويشبهون التاء فيها بهاء التأنيث، لا أن يجد حكما بالقُبح أو الضعف على هذه اللغة، لكنّ حرص النحاة على القاعدة كان يحملهم على العناية بهذه الأحكام أكثر من العناية باللغات الأخرى التي تُخالف القواعد.

وفعل سيبويه، من قبل، كما فعل الأخفش مع هذه اللغة، فذكرها ولم يُعيّن العرب الذين يمنعونها، فقال:" ومن العرب من لا يُنوّن (**أذرعات**) ويقول: هذه قريشيّات كما ترى، شبهوها بهاء التأنيث"[54].

المنارة للاستشارات

وأما (هند ومصر) فقد ذكرهما الأخفش في موضعين من كتابه، الأول عند تفسير قوله تعالى: "ألم"[74]، فقال: ومن العرب من لا يصرف المؤنث إذا كان وسطه ساكنا نحو (هِنْد) و(جُمْل) و(دَعْد)، قال الشاعر[55]:

وإنّي لأهوى بيت هند وأهلها ❁ على هنوات قد ذكرن على هند[56]

والموضع الآخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ البقرة: ٦١ فقال:"ما كان من اسم مؤنث على هذا النحو، نحو: هند وجمل، فمن العرب من يصرفه، ومنهم من لا يصرفه"[57].

والأخفش في هذين النصين يذكر قاعدة هي أنّ العلم المؤنث إذا كان ساكن الوسط فمن العرب من يصرفه ومنهم من لا يصرفه، وهذه قاعدة عامة ذكرها النحاة في باب الممنوع من الصرف، لكنهم لم يشيروا إلى أنّ ذلك من لغات العرب، بل اقتصروا على جواز الصرف وتركه، فقال سيبويه في المؤنث الساكن الوسط:" أنت بالخيار: إن شئت صرفته، وإن شئت لم تصرفه، وترك الصرف أجود"[58].

3- إبقاء حرف العلّة في آخر المعتل المجزوم:

ذكر هذه الظاهرة الفرّاء والنحاس، فقال الفرّاء: قد قرأ يحيى بن وثّاب وحمزة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴾ طه: ٧٧ ، بالجزاء المحض، فإن قلت: فكيف أثبتت الياء في (تخشى)؟ قلت: في ذلك ثلاثة أوجه، إن شئت استأنفت (ولا تخشى) بعد الجزم، وإن شئت جعلت (**تخشى**) في موضع جزم وإن كانت فيها الياء، لأن من العرب من يفعل ذلك، قال بعض بني عبس[59]:

ألم يأتيك والأنباء تنميبما لاقت لبون بني زياد

المنارة للاستشارات

فأثبت الياء في (**يأتيك**) وهي في موضع جزم، لأنه رآها ساكنة، فتركها على سكونها، كما تفعل بسائر الحروف، وأنشدني بعض بني حنيفة[60] .

قال لها من تحتها وما استوهزّي إليك الجذع يجنيك الجنى

وكان ينبغي أن يقول: يجنك، وأنشدني بعضهم في الواو[61] .

هجوت زبّان ثم جئت معتذرامن سبّ زبّان لم تهجو ولم تدع[84]

4- الاسم المنقوص:

ذُكرت في الاسم المنقوص لغة تُخالف القاعدة النحوية التي تقول إن الضمة والكسرة لا تظهران على آخر الاسم المنقوص إن كان معرفًا، وتظهر الفتحة، فنقول: رأيت قاضي المدينة، لكنّ النحاس قال في إعراب الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ الانشقاق: ٦ : "من العرب من يحذف منها [**أي ياء الاسم المنقوص**] الفتحة فيجريها مجرى الألف فلا يُحرّكها بحال" [62] فهذه لغة تُعامل فيها الياء معاملة الألف فلا تظهر الحركات الإعرابية عليها.

ويمكن أن تكون هذه اللغة بأثر من قانون طرد القاعدة على وتيرة واحدة، فالمتكلمون بهذه اللغة رأوا الضمة والكسرة لا تظهران، فمالوا إلى عدم إظهار الفتحة قياسًا على الضمة والكسرة، ومع أنّ هذه اللغة قليلة لم تحظ بوجود يُذكر في قواعد الاسم المنقوص، ولم يُعيّن القوم الذين يتكلمون بها، إلا أنّ تطور اللهجات المنقوص يشير إلى أنّها قد نحت منحى هذه اللغة في عدم إظهار الفتحة على ياء الاسم المنقوص، فلا نكاد نجدها تظهر في لهجاتنا المعاصرة، إذ نقول: رأيت قاضي المدينة، ورأيت القاضي العادل، كما نقول: جاء القاضي ومررت بالقاضي.

وذُكرت في الاسم المنقوص لغة أخرى تتمثّل في الوقف بالياء على المنقوص الذي حُذفت باؤه في حالتي الرفع والجر، والعرب الفصحاء يقفون بغير ياء كما يقول الزجّاج في

المنارة للاستشارات

إعراب الآية ﴿ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ لقمان: ٣٣:"الفصحاء من العرب وقفوا بغير ياء ليُعلموا أنّ هذه الياء تسقط في الوصل، وزعم يونس أنّ بعض العرب الموثوق بهم يقف بياء، ولكنّ الاختيار اتّباع المصحف والوقف بغير ياء "[63]، إذا كانت بعدها نون وكانت في جمع وقبلها كسرة بياء الإعراب التي في الجمع، فلمّا صاروا إلى الرفع أدخلوا الواو، وهذا يشبه: (هذا جُحْرُ ضبّ خرب)" [64] ، بل حتى (**الشياطون**) التي قرأ بها الحسن البصري في الآية: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ **الشعراء: ٢١٠**، وقال النحاة بتوهمه وغلطه"قال أبو حاتم: هي غلط منه أو عليه، **وقال النحاس**: هو غلط عند جميع النحويين، **وقال المهدي**: هو غير جائز في العربية" [65]، حتى هذه القراءة وما قيل فيها من التوهّم والخطأ، قد وجدت من يدافع عنها، فهذا أبو حيان يقول:" وقرأ الأعمش: (الشياطون) كما قرأه الحسن وابن السميفع، فهؤلاء الثلاثة من نقلة القرآن، قرؤوا ذلك ولا يمكن أن يقال غلطوا، لأنهم من العلم ونقل القرآن بمكان" [66].

وهذا يُرجّح كون أسد وتميم وعامر قد حافظت على الأصل بحسّ سليقي مرهف وإن كان الوهم داخل لغة غيرهم من القبائل العربية.

ب- إلحاق (الذين) بجمع المذكر السالم:

هذه القضيّة تقابل قضيّة الأسماء الملحقة بجمع المذكر السالم السابقة، فكما أنّ بعض الأسماء قد ألحقت بجمع المذكر السالم في اللغة المشهورة، ولم تُلحقها بعض القبائل بهذا الجمع بل عاملتها معاملة جمع التكسير، فإنّ الاسم الموصول (**الذين**) هو اسم مبني في اللغة المشهورة، إلا أنّ بعض القبائل قد عاملته في لغتها معاملة جمع المذكر السالم، فقالوا (**اللذون**) في حالة الرفع.

وقد ذكر هذه اللغة الفرّاء والأخفش والنحاس، فقال الفرّاء: "وكنانة يقولون (**اللّذون**) [67] ، وقال الأخفش:" إلا أنّ ناسا من العرب يقولون: هم اللّذون يقولون كذا وكذا، وجعلوا

المنارة للاستشارات

له في الجمع علامة للرفع، لأنّ الجمع لا بدّ له من علامة: واو في الرفع، وياء في النصب والجر"[68].

وذكر النحاس هذه اللغة في مواضع متعددة من كتابه، فقال:" وهذيل تقول: اللذون في موضع الرفع[69] ، وقال في موضع آخر:" اللغة التي جاء بها القرآن (الذين) في موضع الرفع والخفض والنصب، وبنو كنانة يقولون: اللذون في موضع الرفع [70] ، وأما المواضع الأخرى فقد ذكر اللغة فيها دون نسبة إلى القبائل[71] .

ونخلص إلى أنّ هذه اللغة قد نسبها الفرّاء والنحاس إلى بني كنانة، ونسبها النحاس وحده إلى هُذيل كذلك، ولم ينسبها الأخفش.

وأما عند غيرهم من العلماء فنجد ابن عقيل[72] قد نسبها إلى بني هذيل، وأنشد قول الشاعر[73] :

نحن اللذون صبّحوا الصبّاحا يوم النُخيل غارة مِلْحاحا

6- حركة المنادى المرخّم:

ذكر النّحاس في المنادى المرخّم لغتين، فقال عند إعراب الآية: ﴿ **وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ** ﴾ الزخرف: ٧٧ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ** ، قال مجاهد: ما كنّا ندري معنى (**يا مالك**) حتى سمعنا في قراءة عبد الله (**ونادوا يا مال**)، قال أبو جعفر: هذا على الترخيم، والعرب ترخّم مالكا وعامرا كثيرا إلا أنّ هذا مخالف للسواد، وفيه لغتان يقال: يا مال أقبل، هذا أفصح اللغتين، كما قال[74]:

يا حار لا أرمين منكم بداهية لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

ومن العرب من يقول: يا مال أقبل، فيجعلون ما بقي اسما على حاله"[75].

7- إلزام المثنى الألف في أحواله كلّها:

المنارة للاستشارات

جاءت هذه الظاهرة اللهجية في كتب إعراب القرآن ومعانيه عند حديثهم عن الآية: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾ طه: ٦٣ ، فهذا أبو عبيدة يروي، بعد ذكر الآية السابقة، عن أبي عمرو وعيسى ويونس أنّ اللفظ (**هذين**)" وكُتب (**هذان**)كما يزيدون ويُنقصون في الكتاب واللفظ صواب" [76]، فهم كما فهمنا من أبي عبيدة، يرون قراءتها (**هذين**)[77] ، والكتابة (هذان) قضية رسم.

ويبدو أنّ أبا عبيدة مقتنع بما روى عن العلماء الثلاثة، لأنّه يقول بع الذي روى عنهم:" وزعم أبو الخطّاب أنّه سمع قوما من بني كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب"[78].

وأما الفرّاء فإنه يُسلّم بكون الآية قد جاءت على لغة العرب تُبقي المثنى بالألف في حالات الإعراب الثلاث يقول:" فقراءتنا بتشديد (**إنّ**) وبالألف على جهتين: إحداهما على لغة بني الحارث بن كعب: يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف، وأنشدني رجل من الأسد عنهم، يريد بني الحارث[79] :

فأطرق إطراق الشُّجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمّما

قال وما رأيت أفصح من هذا الأسدي وحكى هذا الرجل عنهم: هذا خطّ يدا أخي بعينه وذلك —وإن كان قليلا–أقيس"[80].

فالفرّاء يرى أنّ هذه اللغة التي تُبقى المثنى بالألف في حالاته الثلاث أقيس من الأخرى الشائعة في الفصحى، وهي التي يكون فيها المثنى بالألف في الرفع، وبالياء في النصب والجر، ويعلّل الفرّاء كون هذه اللغة أقيس من أختها لتعليل صوتي نراه فيه متابعا للخليل بن أحمد في تعليله لهذه اللغة، فالفرّاء يقول:" لأنّ العرب قالوا: مسلمون جعلوا الواو تابعة للضمة لأنّ الواو لا تعرب، ثم قالوا: رأيت المسلمين فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم، فلمّا رأوا أنّ الياء من

المنارة للاستشارات

الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها، وثبت مفتوحا، تركوا الألف تتبعه، فقالوا: (رجلان) في كل حال"[81].

ويحاول الفرّاء أن يُثبت صحة التفسير الذي ذكره، فيتّخذ دليلا على ذلك من كون العرب قد اجتمعت على إبقاء (**كِلا**) بالألف رفعا ونصبا وجرا عند إضافتها للاسم الظاهر، ولم يخالفهم في ذلك إلا بنو كنانة" فإنهم يقولون: رأيت كلي الرجلين ومررت بكلي الرجلين، وهي قبيحة قليلة، مضوا على القياس"[82].

وأما الخليل فقد سبق إلى أنّ العلّة في ذلك التخلّص من الياء المفتوح ما قبلها، فقال ابن جنّي في ذلك:" أخبرنا أبو علي عن أبي بكر عن أبي العبّاس عن أبي عثمان عن أبي زيد قال: "سألت خليلا عن الذين قالوا: مررت بأخوالك، وضربت أخواك، فقال: هؤلاء قولهم على قياس الذين قالوا في ييأس: ياءس، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها، قال [يعني الخليل]: ومثله قول العرب من أهل الحجاز: (يا تزن وهم يا تعدون، فرّوا من يوتزن ويوتعدون)" [83].

وأما الزجاج فقد ذكر أوجه القراءة [84] في هذه الآية (**إن هذان لساحران**)، وما قاله النحويون[85] فيها من أنّ في (إنّ) هاء مضمرة والمعنى (**إنّه هذان لساحران**)، أو إنّ (إنّ) فيها بمعنى (نعم)، وروى ما قدّمنا عن أبي عبيدة من أنّها لغة لبني كنانة، وذكر الشاهد الشعري (**فأطرق إطراق الشجاع**)، وزاد عليه أنهم يقولون: (ضربته بين أذناه ومن يشتري مني الخُفَّان)، ثم روى عن أهل الكوفة أنّها لغة لبني الحارث بن كعب[86].

وأما أبو جعفر النحّاس فقد نقل عن أبي زيد والكسائي والأخفش والفرّاء أنّها لغة بني الحارث بن كعب، وعن أبي الخطاب أنّها لغة بني كنانة [87]، ونقل عن أبي حاتم ما يفيد بأنّ بني الحارث بن كعب لا يبقون المثنى بالألف في جميع أحواله حسب، ولكنّهم يُبدلون من الياء ألفا إذا انفتح ما قبلها في غير المثنى كذلك، فقال في حديثه عن قراءة الحسن

المنارة للاستشارات

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم ﴾ يونس: ١٦ "**وقال أبو حاتم**: يريد الحسن فيما أحسب (**ولا أدريتكم به**) فأبدل من الياء ألفا على لغة بني الحارث بن كعب لأنهم يبدلون من الياء ألفا إذا انفتح ما قبلها مثل:﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ **طه**: ٦٣.

ويجدر بنا أن نشير إلى تفسير ابن هشام لهذه الظاهرة، ففيه التفاتة إلى الإيقاع والتناسب في بين أجزاء الجملة، وليس بين أصوات الكلمة المثناة وحدها، يقول:" وعلى هذا فقراءة (هذان) أقيس[88]، إذ الأصل في المبنى أن لا تختلف صيغه، مع أنّ فيها مناسبة لألف ساحران، وعكسه الياء ﴿ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ ﴾ **القصص**: ٢٧ فهي هنا أرجح لمناسبة ياء (ابنتي)[89].

فقد التفت ابن هشام إلى مسألة المناسبة والانسجام الصوتي الإيقاعي الذي يميل المتكلم إلى إحداثه بين عناصر التركيب، من غير أن تعنيه كثيرا ضوابط النحويين التي تتخذ من لغة قوم آخرين معيارا يقيسون به صحة تراكيب المتكلم أو خطأها.

ونختم الحديث عن هذه الظاهرة بالقبائل التي شاعت فيها، فقال السيوطي في ذلك:" ولزوم الألف في الأحوال الثلاثة لغة معروفة عُزيت لكنانة وبني الحارث بن كعب، وبني العنبر، وبني الهجيم، وبطون من ربيعة، وبكر بن وائل، وزبيد، وخثعم، وهمدان وفزارة، وعذرة[90].

ووجود الظاهرة في هذه القبائل الكثيرة مؤشّر على مدى شيوعها، وأنها لم تكن بالظاهرة المحدودة، ويبدو أنّ جذورها تعود إلى قبائل اليمن في الأصل و"إعراب المثنى بالألف دائما، له جذور في المعينية والسبئية حيث تتم بإضافة (ان) للاسم"[91].

8- تشديد نون المثنى من الموصولات وأسماء الإشارة:

ذكر الفراء هذه اللغة عند تفسير الآية : ﴿ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ ﴾ **القصص**: ٣٢، ولم ينسبها، فقال: "اجتمع الفرّاء على تخفيف النون من (ذانك) وكثير من العرب يقول

المنارة للاستشارات

(فذانّك) و(هذان) قائمان ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ ﴾ النساء: ١٦ فيشدّدون النون"[92].

وقد نُسِبت هذه اللغة في بعض كتب النحو إلى تميم وقيس [93]، قال الأشموني:" وهذا التشديد المذكور لغة تميم وقيس [94]، وذكرها ابن عقيل وابن يعيش ولم ينسباها [95]، وعلّل النحاة هذا التشديد بأنّ القياس أن يقول المتكلم في تثنية (الذي): اللّذيان، وفي تثنية (التي): اللّتيان، ثم حُذفت الياء من المثنى وعوّض عنها بتشديد النون، وكدا الأمر في (ذا وتا) اسمي الإشارة، فتشديد النون في (**ذانّ وتانّ**) هو عوض عن الألف المحذوفة"[96].

لقد أثبتت الدّراسات سعة اللغة العربيّة من خلال لهجاتنا القديمة التي مكنتنا من تحليل كثير من الظواهر النحوية الموجودة في القرآن الكريم، وهذا أيضا ساعدنا على تحليل الاختلافات الموجودة في القراءات القرآنية.

وعليه تعدّ دراسة اللهجات العربيّة القديمة اللبنة الأساسية لتحليل مختلف الظواهر.

الهوامش

1- فندريس، اللغة، تعريب الأستاذين عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، لجنة البيان العربي، 1370هـ-1950م، ص 2-3.

2- هلال عبد الغفار حامد. اللهجات العربيّة نشأة و تطورا، الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ-1998 م. ص .20

3- توفي صفي الدين الحلى سنه 750هـ و انظر: الأصفهاني، الأغاني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، 1954، ص.120

4- هلال عبد الغفار حامد . اللهجات العربيّة ، ص .20

5- هلال عبد الغفار حامد . اللهجات العربيّة نشأة و تطورا (الهامش ص 21) .

6- ابن جني . الخصائص ، ج1، ص .33

المنارة للاستشارات

7- هلال عبد الغفار حامد. اللهجات العربيّة. ص 23

8- ابن جني . الخصائص ، ج1، ص .33

9- قال الجاحظ: "وجميع أصناف الدَّلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ، خمسة أشياء لا تنقُص و لا تَزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العَقْد، ثم الخَطّ، ثم الحال التي تسمّى نِصْبةً. و النصبة هي الحال الدالّة، التي تقوم مقامَ تلك الأصناف ..." العقد ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين، يقال له حساب اليد."ارجع لـ: الجاحظ. البيان و التبيّين. تحقيق و شرح عبد السّلام محمّد هارون. دار الجيل. بيروت. لبنان. ج1. ص 76.

10- الأزهري أبو منصور. تهذيب اللغة، تحقيق مجموعة من الأساتذة، القاهرة، 1962-1967م، ج 6، ص 54-.55

11- ابن منظور. لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط 1، 1408هـ-1988م، مجلد 12. ص 340.

12- إبراهيم أنيس. في اللهجات العربية ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ،ط8، 1996، ص .16

13- هلال عبد الغفار حامد، اللهجات العربيّة ، ص 27.

14- هلال عبد الغفار حامد، المرجع نفسه، ص27.

15- السيوطي جلال الدين. المزهر في علوم اللغة و أنواعها، الجيل، بيروت، د ت، ج 1، ص 188-191م.

16- سيبويه، الكتاب. تحقيق وشرح عبد السلام ومحمد هارون، دار القلم، 1966،ج1، ص .226

17- ابراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، ص .22

18- الراجحي عبده، اللهجات العربيّة في القراءات القرآنية، المعرفة الجامعية، 1998، ص .37

19-هلال عبد الغفار حامد . اللهجات العربيّة ، ص .33

20- عطا الله رشيد يوسف. تاريخ الآداب العربيّة، تحقيق د. علي نجيب غطوى، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ- 1985 م، ص .15

21- هلال عبد الغفار حامد، اللهجات العربية . ص .33

22- وافي علي عبد الواحد، علم اللغة ، السلفية، 1357هـ-1938م و نهضة مصر 1382هـ - 1962 م، ص .227

المنارة للاستشارات

23- الراجحي عبده، اللهجات العربيّة في القراءات القرآنية . ص38

24- الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، الأخبار، 1911م، ج1، ص .65

25- مكرم عبد العال سالم، القراءات القرآنية و أثرها في الدراسات النّحويّة، الرسالة، بيروت، ط 3، 1417هـ-1996م، ص .36

26-مكرم عبد العال سالم، المرجع السابق، ص.22

27-هلال عبد الغفار، المرجع السابق، ص.20

28- نحلة محمود أحمد، المرجع نفسه، ص33.

29- هلال عبد الغفار، المرجع السابق، ص.23

30- فندريس. اللغة. ص .29

31- الراجحي عبده. اللهجات العربيّة في القراءات القرآنية .ص .39

32- المرجع نفسه. ص .39

33-الراجحي عبده. فقه اللغة في الكتب العربيّة. ص .109

34- فندريس، المرجع نفسه. ص .30

35- Baylon christian et paul, la sémantique avec des travaux pratiques d'application et leurs courigées, collection nathan université, édition ferbaud nathan, France, 1984.

36- الأخفش سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق فائز فارس، الكويت، ط 2، 1981، ج1، ص.93

37-يُنظر: الكتاب ج113/4، وقال سيبويه: (هي لغة بكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميم).

38-إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ت، ص.248

39-البيت للأقيشر الأسدي، ارجع لـ: سيبويه، الكتاب: ج203/4، وابن جني، الخصائص، ج74/1، وابن يعيش، شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت، د ت، ج48./1

المنارة للاستشارات

40-امرؤ القيس، ديوانه وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري، تحقيق أنور أبو سويلم ومحمّد عليّ الشوابكة، مركز زايد، الإمارات، ط1، 2000، ج2، ص523، وارجع لـ: سيبويه، الكتاب، ج4، ص204، وابن جني، الخصائص، ج1، ص.74

41- السّيوطي جلال الدّين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1، ص.183

42- ارجع لـ: سيبويه، الكتاب: ج203/4، وابن جني، الخصائص: ج74/1، ونهاد الموسى: في تاريخ العربية أبحاب في الصورة التاريخية للنحو العربي، سلسلة الدراسات، 1976، ص151-153، وسمير إستيتية: بحث (الازدواجية في اللغة العربية) 133-134، وصاحب أبو جناح: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: 48-50.

43- نهاد الموسى، المرجع نفسه،ص.153

44- إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص .248

45-رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص.80

46-رمضان عبد التّواب، المرجع نفسه، ص.80

47-سيبويه، الكتاب، ج4، ص.202

48- ابن جني، الخصائص: ج1، ص.72

49- السّيوطي، همع الهوامع، ج1، ص.183

50- السّيوطي، المرجع نفسه، ج1، ص.183

51-إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص.88

52- البيت لامرئ القيس، ينظر: ديوانه: ج326./1

53- الأخفش، معاني القرآن: ج165./1

54- الكتاب: ج234./3

55- لم أعثر على قائل البيت.

56- معاني القرآن: ج20./1

57- معاني القرآن: ج99./1

58- الكتاب، ج240/3، وينظر: شرح المفصل: ج70./1

المنارة للاستشارات

59- البيت لقيس بن زهير، ينظر: الكتاب ج316/3، والخصائص: ج333./1

60- لم أعثر على قائل البيت.

61-نُسب البيت إلى أبي عمرو بن العلاء، ارجع لـ: الأنباري أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1993م، ج24/1، والأشموني، شرح الأشموني على الألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1955م، ج1، ص46.

62- الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص161-162.

63- الزجاج أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م، ج3، ص662.

64- الزجاج، المصدر نفسه، ج4، ص202.

65- الزجاج، المصدر نفسه، ج1، ص14-15.

66- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق، الشيخ محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ج7، ص43.

67- أبو حيان، المصدر نفسه، ج7، ص43.

68- الأخفش، معاني القرآن، ج2، ص184.

59- الأخفش، المصدر نفسه، ج1، ص14.

70- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص427.

71- الزجاج، المصدر نفسه، ج1، ص513.

72-ابن عقيل، شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الخير، بيروت، ط1، 1990م، ج1، ص127.

73- ذكر محمد محي الدين عبد الحميد في تحقيق شرح ابن عقيل، ج 127/1 أن البيت قد اختلف في نسبته اختلافا كثيرا، فقد نُسب إلى رجل جاهلي من بني عقيل، وإلى ليلى الأخيلية، وإلى رؤية بن العجاج.

المنارة للاستشارات
ww

74- زهير، شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى لأبي العباس ثعلب، الدار القومية، للطباعة والنشر، القاهرة، 1964م، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة 1944م، ص180، وارجع لـ: ابن يعيش، شرح المفصّل، ج2، ص20.

75- الزجاج، المصدر السابق، ج3، ص.102

76- أبو عبيدة معمر بن المثنّى، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، الخانجي، مصر، ط 1954، ج2، ص.21

77-جاء في معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ج 361/3:"وقرأ أبو عمرو وعيسى بن عمر: إنّ هذين لساحران، بتشديد (إنّ) ونصب هذين".

78- أبو عبيدة، المصدر نفسه، ج2، ص.21

79- المتلمس، ديوان المتلمس الضُبَعيّ، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربيّة، جامعة الدول العربيّة، 1970م، ص.34

80- الأخفش، معاني القرآن: ج2/.184

81- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

82- ابن جني، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

83- ابن جني، الخصائص:ج2/.14

84- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: ج3/.361

85- المصدر نفسه: ج3/.362

86- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

87- الزجاج، إعراب القرآن: ج2/.345

88- ارجع لـ: أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص.137

89- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت، ج1، ص.39

90- السّيوطي، همع الهوامع في جمع الجوامع، ج1/145، وابن يعيش، شرح المفصّل: ج3/.128

91- الطعان هاشم، الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات، 152، ص.222

المنارة للاستشارات

92- ارجع لـ: أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص207

93- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2/.306

94- الأشموني، شرح الأشموني: ج1/.67

95- ابن عقيل، شرح ابن عقيل: ج1/124، وانظر: ابن يعيش، شرح المفصّل: ج3/.142

96- ينظر: شرح الأشموني: ج 67/1، وابن يعيش، شرح المفصّل، ج 142/3، وابن عقيل، شرح ابن عقيل: ج124/1.

المنارة للاستشارات